الولايات المتحدة بين نقيضين حاجة الإبقاء على نظام طهران أو إسقاطه (1)

بدايةً أود أن أرفع أسمى آيات الشكر والعرفان الى مقام صاحب الجلالة الملك حمد بن عيسى بن سلمان آل خليفة عاهل البلاد المفدى، حفظه الله وسدد رميه وأيد خُطاه، وذلك لرعايته المُباشرة لهذا الصرح الوطني منذ تأسيسه في سبعينيات القرن الماضي واعني بذلك صرح وزارة الدفاع الوطني. فقد أثمر هذا الصرح اليوم وانتج رجالا اثبتت ساعة الصفر علو همتهم ويقظتهم وتفانيهم في التضحية، وأخص بالشكر والامتنان منهم منسوبي جناح الجو الذين ندعو الله ان يحفظهم للبحرين ولأمهاتهم وذويهم، فبفضل الله وفضلهم يخلد كل من يعيش على هذه الأرض الى فراشه قرير العين وهم يقظون ومُتوثبون لحماية البلاد والعباد فجزاهم الله خير جزاء المحسنين على ما يبذلونه من جهد وفداء يعجز اللسان والبيان أن يوفيّهم حقهم ويخجل كل حر غيور ذي أنفة امامهم لعجزه عن رد جميلهم وفضلهم، أما عن هذه الحرب التي تداخل فيها الكثير من المفاهيم المُنافية للمنطق الإنساني حتى بات اكثر المُحللين ومن داخل عواصم الوسطاء كإسلام آباد والدوحة عاجزين عن رصد حقيقة هذه الحرب والفرز بين ما هو جاد منها من هزّله، وذلك بسبب تماهي الطرفين وتوريتهما تجاه المنطقة العربية، فالولايات المتحدة تريد إيلام طهران لكنها لا تسعى لكسرها واجتثاثها، وايران تعلم ان الويات المتحدة ومركز إدارة القرار الغربي والامريكي يُفضلان بقاء نظام طهران، وقد اكد ذلك مؤخراً الرئيس الأمريكي ونائبه جيدي فانس بان الولايات المتحدة ليس هدفها إسقاط نظام طهران،

بقلم:
حسن الأسود

فهل يعقل ان تندرج هذه التصريحات ضمن خانة التمويه والمباغتة؟ وفي تقديري ان هذه التصريحات الامريكية وبتزامنها مع هذه الحملة الأخيرة، فإنها قد جانبها الصواب فهي تجعل الملالي في طهران يُصرون على مواقفهم وتزيد من قناعتهم بان العصر الذهبي التخادمي بينهم وبين الولايات المتحدة لن ينتهي بعهد الرئيس ترامب ومرحلة نتنياهو، وما عليهم الا الصبر والمُماطلة، وكل ما تيّقن ملالي طهران بحاجة الولايات المتحدة اليهم كعنصر تفاعُلي نشط لإحداث تناقضات بالمنطقة في كل مُتغير عالمي، فانهم سيستمران في هذا العّبث من التعدي على عواصم الخليج والتجارة العالمية، فهل يُعقّل ان ايران تتخادم في البعد الاستراتيجي بتصنّع العنتريات لفتح الطريق امام الولايات المتحدة لوضع يدها على مضائق المنطقة كهرمز وباب المندب؟ وذلك ممكن فهناك تاريخ قديم وخفي من التخادم بين طهران وواشنطن والغرب عامة على العرب، والمُتتبع منذ سنوات قريبة لسير تفاعل الاحداث ودراماتيكيتها بينهما يرصد ذلك الخيط الخفي بين الجانبين، ولو رجعنا بالذاكرة إلى سنوات غزو العراق فإننا سنتذكر تصريح عضو مجلس الأمن القومي الإيراني آنذاك محمد علي ابطحي الذي أعلنها صراحةً بقوله للولايات المتحدة «لولانا لما نجحتم في العراق وأفغانستان». وهذا التصريح ليس الوحيد بل هناك مؤشرات وبراهين كثيرة تؤكد تخادم الولايات المتحدة مع طهران وتفضيل نظامها، وذلك لإمعانه بالإفساد في الأرض العربية، كما ان نخب العراق ومهجره السياسي الذين كابدوا مرارة الاحتلالين الأمريكي والإيراني لبلدهم لديهم من الأدلة ما يشيب له رأس الرضيع، ومع ذلك فإن هذا لا يعني في تقديري أن الرئيس ترامب شخصياً لا يُريد خلع نظام طهران ولكنه كُبّل بعد حملته العسكرية الأولى، ان هذه الحرب باتت اليوم لغُزا للكثيرين، لكنهُ من يحاول موازنة الأمور على ان الطرفين متساويان في القوة وان الولايات المتحدة باتت في مأزق فذلك غير واع ولامنطقي، فالولايات المتحدة لديها من فائض القوة ما يجعلها قادرة على اجتثاث طهران ونظامها في عشية وضحها، لكنّ مركز صنع القرار فيها والذي يضع الخطط الخارجية للبيت الأبيض هو نفسه لا يسعى لاجتثاث نظام طهران، وكُلنا يتذكر بالأمس ملجأ الجادرية المدني في بغداد وكيف ان الولايات المتحدة أدخلت الصواريخ الدقيقة لداخل الملجأ وقتلت كل المدنيين فيه وذلك لكون إدارة صنع القرار الامريكي الفعلية لديها تصميم، والتنفيذون لديهم ضوء اخضر بقتل العنصر العراقي من كبيره حتى غفيره بينما المُفارقة الامريكية اليوم هنا حتى مُعسكرات الحرس الثوري وثكناته لم تقُم بتدميرها جملة وتفصيلا، إن الولايات المتحدة تسعى اليوم لإعادة تشكيل الشرق الأوسط والمؤشرات تشي بانها تُفضل بقاء هذا النظام، وذلك مع كون الرئيس ترامب شخصياً ممتعضا من التفاوض معهم وقد وصفهم بانهم حثالة ومرضى لكن القرار الفعلي للولايات المتحدة في نفس الوقت يريد صياغة مشهد الشرق الأوسط مع بقاء هذا النظام ضمن صيغة ومعادلة تتسق مع توجهات الولايات المتحدة وتصوراتها القادمة للمنطقة، ومع ذلك كلما أصر النظام الحاكم في طهران على مواقفه، فإن ذلك قد يُوحد القناعات في الداخل الأمريكي لدى أجنحة صنع القرار بان هذا النظام قد انتهت صلاحيته، اما عما هو مستجد على مستوى الصراع العسكري وإرهاصات مشهد الحرب، فإننا سنحاول تناول صورتين متعاكستين الأولى وهي ان الولايات المتحدة اذا احست بتزايد نقاقات الكلفة العسكرية فإنها قد تترك المنطقة وذلك بعد تشظيها جيداً، والثانية وهي ان الولايات المتحدة تعد وتسعى لضربة شاملة لإيران وصولاً لمرحلة تسليمها المُعلن او إسقاطها جملة واحدة وهناك من المؤشرات ما يشي بحصول السيناريو الثاني، فإذا لم تتراجع طهران فإن استحضار طائرات التزويد بالوقود لإسرائيل دليل يُشير إلى ان هناك عملية شاملة ستطول طهران ومللياها.

الانقسامات داخل القيادة الإيرانية وتأثيرها على صنع القرار

كشفت منظومة صناعة القرار في إيران مؤخرًا عن وجود تباين كبير في وجهات النظر في ظل الحرب، وخاصة بشأن الضربات التي شنها الجيش الأمريكي على عدة مدن إيرانية قبل التوصل إلى هدنة جديدة، وكان الهدف الأمريكي هو محاولة فصل العمق عن الساحل الجنوبي الغربي المتاخم لمضيق هرمز، فقد استهدفت الضربات الأمريكية عدة جزر بالمضيق تستخدمها إيران كموانئ وتضع بها منصات إطلاق الصواريخ والطائرات المسيرة لتحقيق استراتيجية «الردع المواجه» التي شملت الاعتداء على دول الخليج تحت دعاوى مختلفة.

وقد كشفت كثيرًا من التصرفات والإجراءات الإيرانية، بل والبيانات الصادرة عن المرشد الإيراني مجتبى خامنئي، عن وجود تباين كبير وفجوة واسعة، وانقسام في صناعة القرار يمكن إجمالها على النحو الآتي:

بيان المرشد الإيراني:

وهو البيان الذي صدر في 19 يوليو الماضي الذي حرص فيه مجتبى خامنئي على توجيه رسالة للشعب الإيراني والقيادات الإيرانية حين قال: «ولا بدّ من أن أقول لكم، أيّها الشعب الإيراني، إنّ من أكثر الأمور مبدئيةً في هذه المرحلة الإصرار على وحدة الكلمة والاتحاد المقدّس، على مستويات الشعب والمسؤولين كافة وفي مختلف الميادين.. فإن صون الوحدة وتجنّب الفرقة والتنازع والخلافات السياسية وعدم تضخيم الفوارق الاجتماعية واجبٌ على الجميع. وبطبيعة الحال، إنّ دور المسؤولين والكوادر المخلصة والمتفانية هو تعزيز تماسك البلاد ووحدتها».

وقد كانت تلك الرسالة المتعلقة بنبذ الفرقة والاختلافات السياسية إيذانًا بتأكيد وجود اختلاف كبير في الرؤى بين القيادات الحاكمة في إيران بشأن مساري المفاوضات والتصعيد العسكري، إذ إن لفظة «تجنب الفرقة والتنازع والخلافات السياسية» لا تنم عن وجود اتساق في وجهات النظر بين القيادات المحيطة بخامنئي سواء على المستوى السياسي أو حتى العسكري، وهو ما حذر منه خشية سقوط النظام الإيراني أمام الضغوط الأمريكية.

دعوة خاتمي لـ«السلام المشرف»:

وهي الدعوة التي تحدث عنها الرئيس الإصلاحي الأسبق محمد خاتمي خلال لقاء له مع عدد من مستشاريه بمقر إقامته حين تحدث عن ضرورة وقف الحرب والدعوة للسلام، ودفع شبح الحرب لتخفيف المعاناة عن المواطنين، حيث حذر خاتمي خلال ذلك اللقاء من وجود ما أسماه «دعاة الحرب والانتقام» الذين يسيرون في الطريق الذي تريده إسرائيل.

وقد كان لتلك الدعوى صدى كبير في الأوساط السياسية الإيرانية، وهو ما دعا صحيفة «كيهان» المحسوبة على التيار المتشدد لأن ترد على تصريحات خاتمي بمقال جاء بصدر صفحتها الأولى بعنوان «وصفة استسلام»، انتقدت خلاله تصريحات خاتمي واعتبرتها أطروحة استسلام لواشنطن وتل أبيب، واتهمت خاتمي بأنه يقدم دعوة إلى «الاستسلام» تحت عنوان «السلام»، في وقت ترى فيه أن إيران لا تزال تتعرض للتهديد.

التباين بين التيار البراجماتي والمتشدد:

وهو ما كشفه الهجوم الذي تعرض له الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان بعد اعتذاره للدول الخليجية في لقاء متلفز في السابع من مارس الماضي، عن الضربات الإيرانية على بعض الدول الخليجية، ردًا على الهجمات الأمريكية، إذ تعرض بزشكيان لضغوط كبيرة من الحرس الثوري أجبرته على التراجع عن اعتذاره، حيث أطلق تصريحات قال خلالها إن «أمريكا حرفت اعتذاره وحولته إلى استسلام في محاولة لزرع الفتنة، وإن بلاده سترد بقوة على الهجمات الأمريكية والإسرائيلية ولن تستسلم».

يزيد من حدة ذلك التباين ما أقدمت عليه هيئة الإذاعة والتلفزيون الإيرانية، بأن حذفت جزءا من خطاب الرئيس الإيراني مسعود بزشكيان خلال حفل إحياء ذكرى اليوم الوطني للصناعة والتعدين، حيث حذفت الشبكة الجزء الذي تحدث فيه بزشكيان عن موافقة المرشد الراحل علي خامنئي على مبدأ التفاوض مع الولايات المتحدة، وهو ما استند إليه في مسألة ضرورة الاستمرار في التفاوض ونبذ الحرب، وهو ما أجبر الجانب المتشدد في إيران أو القيادة العسكرية على حذف ذلك الجزء بالتحديد.

وقد أثار ذلك رد فعل رسمي إذ صدر بيان عن مجلس الإعلام الحكومي نديه خلاله بقيام هيئة الإذاعة الإيرانية بحجب جزء من خطاب الرئيس، حيث اعتبر البيان أن «أثار هذه الإجراءات وعواقبها في

بقلم:
محمد خيري ○

إضعاف التماسك الاجتماعي لا تُشكك فقط في كفاءتها كـ«وسيلة إعلام وطنية»، بل لها أيضًا عواقب وخيمة على مجال الأمن القومي».

رفض رجال الدين المتشددين للمفاوضات

وقد برز موقف أبرز رجال الدين الرافضين للمفاوضات في موقف كل من حجة الإسلام مجتبى ذو النوري، وهو عضو مجلس الشورى الإسلامي عن دائرة «قم» التي تضم الحوزة الدينية، الذي اعتبر أن فريق التفاوض الإيراني «مقصرون ومهملون»، حيث طالبهم بتعزيز مكانة إيران، وأن يدرجوا في اتفاق بندًا ينص على أن «انتهاك أي بند من بنود الاتفاق يعني انتهاك جميع البنود؛ أي إما كل شيء أو لا شيء». كما دعا إلى التشدد الصارم مع الجانب الأمريكي.

أما الموقف الثاني فكان لرجل الدين البارز وعضو لجنة الأمن القومي في مجلس الشورى الإسلامي، محمود نبويان، الذي قال إنه «اطلع على النص النهائي للاتفاق المقترح، وإن توقيعه سيجعل إيران «رسمياً مستعمرة لأمريكا».

يأتي ذلك بجانب أن عددًا كبيرًا من رجال الدين وقادة الحرس الثوري كونوا ما يطلق عليه «جبهة بيداري» أو «جبهة ثبات الثورة الإسلامية»، التي تعتبر أبرز التكتلات السياسية الأصولية المتشددة في إيران، التي يتخذ أعضائها من رجل الدين البارز آية الله تقي مصباح يزدي -أحد أقطاب التيار المتشدد- رمزًا لهم وأبًا روحيًا، إذ تعمل تلك الجبهة كحائط صد لأي سياسات إصلاحية مهمتها فتح آفاق المفاوضات مع الولايات المتحدة، وقد برز دورها بعد توقيع مذكرة التفاهم مباشرة، حيث دعا قادتها إلى مسيرات وتظاهرات بالعاصمة طهران للتنديد بالتوقيع على مذكرة التفاهم مع الولايات المتحدة، وردد المحتجون وقتها شعارات من بينها: «عراقجي، اخجل... واترك البلاد»، و«قاليباف، عراقجي... ماذا عن دم قائدنا؟». كما طالب المحتجون كلًا من قاليباف وعراقجي بالخروج من البلاد والعيش في الدول الأوروبية والولايات المتحدة.

في الختام، فإنه مع كل تطور على المستوى السياسي يبرز دور المتشددين والحرس الثوري الإيراني في إشعال الموقف العسكري والاستراتيجي، وهو ما يبرز إمساك الحرس الثوري بزمام الأمور في إيران، وخاصة بعد تعمد تصعيد خامنئي الابن في منصب المرشد بعد اغتيال خامنئي الأب، كرسالة من الحرس الثوري إلى تصعيد «ولي الدم» إلى موقع القيادة للثأر من اغتيال والده، بجانب أن دور الحرس الثوري المؤثر في منظومة القيادة يكشف عن تراجع دور الرئيس والجبهة التنفيذية في الحكومة وخاصة إذا كان الرئيس محسوبًا على التيار الإصلاحي الذي يجنح كعادته إلى «السلام» أو المهادنة مع الولايات المتحدة الأمريكية والغرب أو الجيران العرب.

وقد أدى ذلك إلى أثارة حفيظة الجناح العسكري الذي يرغب في استمرار المواجهة مادام السلام لم يحقق رغبات منظومة القيادة في إخضاع الأمريكان على طاولة المفاوضات، ومادام الصراع يكشف دائمًا عن التحام جماهيري مع النظام، وهو ما لم يكن يحلم به النظام وخاصة بعد التظاهرات التي عمت الشوارع الإيرانية في ديسمبر ويناير الماضيين، ونادت بالموت لخامنئي.

وفي ضوء اشتعال الصراع الداخلي بين أقطاب منظومة الحكم، فإن ذلك الصراع يكشف عن انقسام كبير في منظومة اتخاذ القرار، وقد يسفر في مراحل لاحقة عن أزمات استراتيجية تتعلق ببنية النظام أو استمراره، حيث إن الولايات المتحدة وإسرائيل يستثمران في تعزيز ذلك الانقسام الذي قد يسفر عن تصدعات داخل بنية النظام، وهو ما تكشفه تصريحات لوزير الخارجية عباس عراقجي عن وجود «ثغرة أمنية» مازالت موجودة حتى الآن تسببت في اغتيال المرشد السابق علي خامنئي.

○ باحث مختص في الشؤون الإيرانية.

عالم يتغير

الغذاء والدواء.. من الحيز الإنساني إلى التلاعب الشيطاني!

فوزية رشيد

○ بعد أن تخلى «روبرت إف كينيدي جونيور» ابن شقيق الرئيس الراحل كينيدي للرئاسة الأخيرة ومنافسة «ترامب» قال الأخير إنه سيسمح له بالتصرف بحرية فيما يتعلق بسياسات الصحة والغذاء! وقال «ترامب» أيضاً على منصته «تروث سوشال» (إنه منذ زمن طويل والأمريكيون سحقهم مجمع الصناعات الغذائية وشركات الأدوية التي انخرطت في عمليات خداع وتضليل إعلامي وتزييف فيما يتعلق بالصحة العامة)! وأشار إلى مخاطر المواد الكيماوية الضارة والمواد الملوثة والمبيدات الحشرية سواء في المنتجات الدوائية أو المضافة إلى المنتجات الغذائية!

○ ولذلك ما إن تسلم «روبرت كينيدي» منصب وزير الصحة والخدمات الانسانية بالولايات المتحدة فبراير 2025، حتى قلب الهرم الغذائي في الولايات المتحدة وبما تداوله الإعلام في كل مكان! وزاد نشاطه المناهض للقاحات فهو العدو الأكبر لها! إلى جانب تفعيل آرائه التي سجلها في كتاب

سابق له هو كتاب (الجرائم ضد الطبيعة) الذي صدر عام 2025! إلى جانب عدد من المقالات والبرامج الإذاعية التي نظر فيها علناً بآرائه حول (وجود مؤامرة غذائية وصحية ضد الإنسان الأمريكي)، ونضيف بل ضدّ الإنسان أينما كان في الزمن العولمي، الواقع في قبضة مافيات الغذاء والدواء التي تدير الشركات العولمية الكبرى في هذا المجال!

○ الغريب أن آراء «روبرت كينيدي» حول مافيات الغذاء والدواء وإن كان اهتمامه محصوراً حولها بما يتعلق بالشعب الأمريكي إلا أنها تنطبق على كل شعوب العالم وهوليوود التي اعتادت طرح العديد من الأفلام، التي تعالج فضائح وفساد الشركات الكبرى ذات الصلة بالغذاء والدواء! إلى جانب التلاعب الشيطاني من شركات التكنولوجيا بالإنسان الخاضع للعديد من التجارب العلمية ذات الهدف التجاري أو الربحي فقط وليس بالإنسان! تفيد معاً بحجم تلاعب تلك الشركات بالمنظومة الصحية العالمية والتضليل والتزييف، في المعلومات العلمية المتعلقة بالصحة العامة للإنسان في العالم! ما يجعل وضع تلك الشركات تحت المجهر العالمي أو الدولي يكتسب أهمية كبيرة، لأن الانسان وصحته هما في ميزان التلاعبات الشيطانية اليوم لتلك الشركات المافياوية الكبرى عبر العالم!

○ شركات الأدوية العملاقة تتضمن كمثال شركات مثل (فايزر، آبفي، إيلي ليلي، روش ونوفو نورديسك) وغيرها، وهي التي تصل أرباحها السنوية من صناعة وبيع الدواء عبر العالم إلى مئات بل وتريليونات الدولارات! لنأخذ أمثلة على ما يصرفه العالم على الأمراض وعلى وجه التقريب: (80 مليار على مرض السكر! «600 مليار» على أمراض القلب والأوعية الدموية! «260 مليار» دولار على السرطانات والأورام! «240 مليار دولار على أمراض العظام والمفاصل، «190 مليار دولار» على الأمراض النفسية والعصبية! «150 مليار دولار» على الجهاز الهضمي والقولون! وأمراض الجهاز التنفسي «120 مليار دولار»

أما أمراض وجراحة العيون «45 مليار دولار»! والعقم والتلقيح الصناعي «45 مليار دولار» أيضا! وهلمجرا! لتصل فاتورة هذه الأمراض فقط على المستوى العالمي إلى (2800 مليار دولار أي ما يقارب ثلاثة تريليونات! أي أننا نتحدث عن مبالغ (تريليونية) تدر مداخيلها على الشركات الكبرى سنويا! ما يجعل المجال هذا؛ أي مجال الأدوية، ليس بريئاً بحيث تنحصر مهمته في علاج أمراض الانسان، بل هناك تقارير وإن قليلة يموت أصحابها عادة بشكل غامض! تدل على أن (هناك إدارة للأمراض في العالم)! وأن هناك مثلما قال «ترامب» تزييفا وتضليلا في الاعلام والتقارير العلمية بما يخص الصحة العامة! بل إن هناك تقارير تتم محاربتها تثبت أنه بالإمكان علاج الكثير من الأمراض ومنها الخطرة من جذورها! وأن الطب البديل، بل والطب الحديث، وصل إلى علاجات لها، ولكن الشركات الكبرى تحارب تلك العلاجات وتحارب من يقوم بها، حتى تستمر تجارة الأدوية وما تضخّه من تريليونات سنويا! ويتم إجبار الكثير من الدول على شرائها منها، وبوسائل ضغط وإغراء كثيرة ليس هنا مجال الحديث عنها!

○ أما تجارة الأغذية فالغريب أن الكثير من الشركات التي تدير مجال الأدوية هي التي تدير أيضاً مجال الغذاء والصناعات الغذائية عبر العالم، وصناعة المشروبات الغازية ومشروبات الطاقة والمكملات الغذائية من فيتامينات ومعادن.. إلخ!

وهي بدورها تدر (تريليونات الدولارات سنويا)! وبذلك أصبحت شركات الغذاء والدواء مافيات تدير الأمراض بما تدخله على الأغذية والأدوية من مسببات المرض وتجعل من المرضى مرضى مزمنين ودائمين على تناول الأدوية الباهظة الثمن! التي رغم تناولها كما قلنا في مقال سابق فإن الأمراض تزداد والصحة العامة في العالم تتدهور! لأن («المرض» تحوّل إلى تجارة عالمية كبرى) بل ومن أكبر التجارات نموا ودخلاً! بل وتنافس شركات الأسلحة والمخدّرات والتكنولوجيا!

○ وحين يخرج الغذاء والدواء في العالم من حيز المنظور الإنساني المعنيّ بشفاء الإنسان وأهمية صحته ووجوده معافى من الأمراض، ليدخل أي «الغذاء والدواء» إلى حيز الإدارة الشيطانية للأمراض، بل عبر الاسهام في نشر الأمراض في العالم، ومن خلال الغذاء والدواء واللقاح! فإننا نجد أنفسنا مجبرين على أن تتعامل دولنا مع الأمر بجدّية! وأن تتحوّل إلى إنتاج دوائها وغذائها بنفسها وبمواصفات طبية صحيحة! وأن لا يتحوّل الدواء إلى مجرد استهلاك تجاري كغيره! وخاصة أن العناية بالصحة البشرية وما تصرفه دولنا على مجال الصحة العامة كثير وبحاجة إلى رؤى ومراجعات صحية حول الغذاء الذي نتناوله يومياً، والدواء الذي تستهلكه أجسادنا وبكثرة، حتى لا نصنع بشراً مرضى بل أصحاء! وهذا يعني أن يكون لدينا في المجال الصحي والغذائي عناصر مختلفة، غير خاضعة في النهاية لتعاليم ومنتجات شركات الأدوية والغذاء العالمية، التي تخضع لمافيات حولت الإنسان إلى مجرد سلعة وأمراض بأساليب شيطانية!

نحن والتعلق بالاحتمال والقصص غير المكتملة

تجلس سيدة سبعينية على كرسيها مطلقةً العنان لخيالاتها، حالمةً وداعيةً الله أن يبلغها اليوم الذي ترى فيه حفيدها خريجًا ثم عريسًا، قبل أن تُطوى صفحات سنينها في الحياة الدنيا.

ومثلها مجمل البشر؛ يمضون من دون وعي في التعلّق بالاحتمالات، متطلعين إلى نهاية سعيدة للقصص غير المكتملة، أو إلى بداية للقصص لم تحدث، منتظرين أثرًا لا يتناسب مع ما يحدث في الواقع؛ فيُحرمون الاستمتاع بلذّة التفاصيل الصغيرة، آملين قدوم ما كان يمكن أن يحدث.

وهذه المساحة الصغيرة بين الواقع والاحتمال هي واحدة من أكثر المساحات الإنسانية تعقيدًا؛ ففيها تتكوّن القصص التي لم تبدأ، والعلاقات التي لم تُولد، والاعتذارات التي لم تصل، واللقاءات التي تأجلت حتى انتهت صلاحيتها، والأشخاص الذين لم يصبحوا جزءًا من حياتنا، لكنهم أصبحوا جزءًا من خيالنا.

في كثير من الأحيان يُخدع وعينا، فلا نتعلّق بالشخص أو الحدث، بقدر ما نتعلّق بالمعنى الذي أضفناه، نلتف حول عيوب المقربين وتناقضاتهم؛ نتغاضى عن خيباتهم، نملأ فراغات صمتهم، لنستكمل الجمل التي لم يُفصحوا عنها، وهنا تبدأ المفارقة؛ فقد لا يكون في الواقع ما يستحق كل هذا التعلّق والارتهان، لكننا مستعدون لأن نبني ما لم يحدث أصلًا في محاولة ترميم الغياب، نحرس في جوهر الأمر المعنى الذي شيدناه حولهما.

والسؤال: هل تتفوق سطوة الاحتمال على الحقيقة؟ نعم، لأن الواقع محكوم بحدوده وقسوته، بينما الاحتمال مفتوح بلا سقف. لذا نبقى متعلقين بالأمل في رحلة بناء القصص غير المكتملة. وأكاد أجزم أن بعض العلاقات غير المكتملة أكثر إلحاحًا في الذاكرة من العلاقات التي اكتملت فعلاً.

فالشيء المكتمل يمنح العقل نهاية، حتى لو كانت مجرياته تسير على غير ما نشتهي ونأمل ونريد، على عكس ما نتعلّق به، إذ يبقى الباب مفتوحًا، لنسأل مرارًا: ماذا لو...؟ فنعيش وفق تعقيدات الاحتمال، عشرات النسخ البديلة والأكثر جمالًا من الحقيقة، التي سرعان ما يبدّدها التفكير الواقعي الناقد، مستندًا إلى حقيقة أن العقل البشري لا يحب الأبواب المفتوحة.

مؤلم أحيانًا ألّا تحصل القصص على فرصة حقيقية للتخلّص من شباك الاحتمال؛ ألّا تبدأ بما يكفي لكي تنتهي، ورغم ذلك نبقى متمسكين بها، باحثين عن إجابات ربما طوال العمر.

والمفارقة أننا أحيانًا نحب النسخة التي صنعناها

بقلم:
فاطمة الحجري ○

في عقولنا؛ نسخة مثالية نحتفظ بها في داخلنا لا تتغير، ولا تتعب، ولا تتناقض، ولا ترتكب الأخطاء. فالدماغ قادر على بناء استجابات عاطفية قوية استنادًا إلى التوقع والخيال والذكريات والإشارات الاجتماعية؛ فنعيش مع أنفسنا شعورًا حقيقيًا في قصة لم يُكتب لها أن تكون حقيقية، غير أن التمثيل الداخلي يكون غنيًا جدًا بالتفاصيل والانفعالات. ولهذا قد يكون التخلي عنها صعبًا، وكأننا أمام عنوان عريض اسمه: الاستثمار العاطفي في احتمال.

نتوه أحيانًا بين رغبة معلنة في التعافي، ورغبة خفية في البقاء قرب الاحتمال. نبحث عن أدلة تنقذنا منه، ثم يمنحنا العقل أدلة أخرى تعيدنا إليه؛ فنظل عالقين في منطقة ملتبسة، ننتظر خاتمة لقصة لم تكتمل.

بمعنى آخر، نحاول أحيانًا أن نتجاوز القصة، لا لأننا انتهينا منها، بل لأننا تعبنا من حملها. نقنع أنفسنا بأننا لم نعد نهتم، ونبحث عن أسباب تجعل التخلي ممكنًا، لكن العقل، في المساحة التي تركها الغياب، يعود فيملؤها بما كان يمكن أن يكون. وهكذا نكتشف أننا لم نغادر القصة تمامًا؛ كنا فقط نبحث عن طريقة أقل ألمًا للبقاء فيها.

أحيانًا تنتهي القصة التي كنا نظن أنها النهاية، فقط لكي نكتشف أنها كانت فصلًا علّمنا كيف نكتب بقية الفصول.

تعود بنا الحكاية، في نهايتها، إلى تلك السيدة السبعينية التي جلست تحلم بمشهد ترى فيه حفيدها خريجًا ثم عريسًا. قد يتحقق ما تتمنى أو لا يتحقق، ومع ذلك، لا يبدو أن قيمة الأمل تتوقف على تحقق الاحتمال؛ وربما تكمن الحكمة في أن نمنح احتمالاتنا حقها من الحلم، لكن ألّا نمنحها عمرنا كله؛ وأن نتعلم، بهدوء، أن نحب ما حدث، ونتصالح مع ما لم يحدث، ونترك للحياة حقها في أن تكتب لنا نهايات لم نفكر فيها. فليس كل احتمال خُلق ليصبح واقعًا، وليس كل قصة لم تكتمل كانت بلا معنى.

فمن المفيد جدًا ألّا نخجل من قصة لم تحدث، وألّا نعدّ التعلّق بالاحتمال ضعفًا. ولعل أجمل ما يمكن أن نفعله أمام قصة لم تحدث هو أن نترك لها مكانًا في ذاكرتنا، من دون أن نمنحها بقية أعمارنا، فالاعتراف والفهم لا يجعلاننا أضعف، بل يجعلان التصالح مع الذات أكثر رحمةً وهدوءًا، وهذا بحد ذاته شيء ثمين.

○ صحفية بحرينية.